٨

الصـــياد والسـمكات

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوكَّلْ علىٰ اللهِ

اصْطَحَبَ (أبُو عَليٍّ) أَوْلاَدَهُ مَعَهُ إلىٰ المَسْجِدِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، حَيْثُ اسْتَمَعُوا إلىٰ خُطْبَةٍ هَادِفَةٍ وَمُفِيْدَةٍ ، تَحَدَّثَ فِيْهَا خَطِيْبُ الجُمُعَةِ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَخْلاقِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ ، وَهُوَ: التَّوكُّلُ علىٰ الله سُبْحَانَهُ.

obeikandl.com

وَحَفِظَ (نَادِرٌ) مِنَ الخُطْبَةِ أَشْياءَ كَثِيْرَةً ، نَقَلَهَا إِلى أَهْلِهِ في مَسَاءِ ذٰلِكُمُ اليَوْم ، وَكَانَ مِنْهَا مَا يَلي:

مِنْ مَعَانِي التَّوكُّل أَنْ يُقْدِمَ الإِنسَانُ عَلَىٰ كُلِّ مَالَهُ علاقَةٌ بالأَمْرِ ، فَيُخَطِّطَ ويَحْسُبَ وَ..... ثُمَّ إِذَا تَمَّ لَهُ ذٰلِكَ ، عَزَمَ أَمْرَهُ ، وانْطلقَ نَحْوَ القِيَامِ بالعَمَلِ ، وَهُوَ بِذٰلِكَ قَدْ سَلَّم أَمْرَهُ للهِ ، وفوَّضَ لَهُ كُلَّ شَأْنِهِ ، فَبَعْدَ اتِّخاذِ الأسْبابِ كُلِّها ، كالدِّراسِةِ بالنِّسبَةِ للطَّالِبِ مثلاً ، يَرُدُّ أَمْرَهُ كُلَّهُ إِلىٰ اللهِ.

وَهَذَا مَا نَلْمَحُهُ في حَيَاةِ الأَنْبِيَاءِ ، عَلَيْهِمُ السَّلامُ. فَمَثَلاً يَعْقُوبُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَأْمُرُ أَوْلادَهُ بِأَخْذِ الحِيْطَةِ ، والحَذَرِ ، ثُمَّ التَّوكُّل على اللهِ: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾(١).

وَهُودُ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ يَذْكُرُ ذٰلِكَ بِصَرِيْحِ العِبَارَة: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي

(١) سورة يوسف: ٦٧.

وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

وخَاتَمُ الأَنْبياءِ مُحمَّد ـ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ ـ تَأْتِيْهِ التَعَالِيْمُ الرَّبَّانِيَّةُ بِأَنْ يَلْتَزِمَ خُلُقَ التَّوكُّلِ، كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾(٢).

وَنَجِد الحضَّ علىٰ التَّوكُّلِ في قَوْلِهِ سُبْحَانَـهُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ

---

(١) سورة هود: ٥٦.

(٢) سورة الفرقان: ٥٨.

وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿(١)﴾.

وَفي النِّصْفِ الثَّاني من الخُطْبَةِ، حَذَّر الخَطِيْبُ مِنَ التَّرَدُّدِ، وعَدَمِ حَسْمِ الأُمُورِ، وَذَلِكَ في أيِّ مَسْأَلَةٍ مِنَ المَسَائِلِ.

وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ (نَادِرٌ) ذٰلِكَ، صَفَّقَتْ لَهُ وَالِدَتُهُ عَلَىٰ قُوَّةِ انْتِبَاهِهِ، وسُرْعَةِ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

حِفْظِهِ ، وبدِيْهَتِهِ ، وَدَعَتِ اللهَ سُبْحانَهُ أنْ يَجْعَلَهُ في طَلِيْعَةِ المُتَفوِّقِيْنَ ، في أُمُوْرِ الدُّنْيَا ، وَأُمُوْرِ الدِّيْنِ.

وَفي ظِلال أَشْجارِ اليَاسَمِيْنِ

وَبَعْدَ سَاعَةٍ تَقْرِيْباً اجْتَمَع أفْرَادُ العَائِلَةِ في ظِلالِ أَشْجَارِ اليَاسَمِيْنِ المَزْرُوْعَةِ بمحاذاةِ سُوْرِ حَدِيْقَةِ البَيْتِ.

وَبَيْنَمَا كَانُوا يَشْرَبُوْنَ الشَّايَ باللَّيْمُونِ إِذَا (بِأُمِّ عَلِيٍّ) تَتَوجَّهُ إِلَىٰ الأَوْلَادِ وَتَقُوْل لَهُمْ: لَقَدْ تَذَكَّرْتُ قِصَّةً

عَنِ التَّرَدُّدِ ، وَعَواقِبِه الوَخِيْمَةِ ، وَكُنْتُ قَدْ سَمِعْتُهَا مِنْ جَدَّتِكُم المَرْحُوْمَةِ (أُمِّ سَلِيْمٍ) رَحِمَهَا اللهُ تعالىٰ! وَمُلَخَّصُهَا مَا يَلي:

حِوَارُ الصَّيَّادِيْنَ!!

كان يَامَا كَان ، كانَ في قَدِيْمِ الزَّمَان ، كانَ بِجِوَارِ أَحَدِ الأَنْهَارِ جَدْوَلٌ رَقْرَاق ، يَعِيْش فِيْهِ ثَلاثُ سَمَكَاتٍ ، وَكَانَتْ عيْشَتُهُنَّ تَتَّسِمُ بالهُدُوْءِ ، واللِّيْنِ.

وَكَانَتْ إِحْدَىٰ تِلْكَ السَّمَكَاتِ ذَاتَ

عَقْلٍ وَاعٍ ، وَذِهْنٍ حَصِيْفٍ ، بَيْنَمَا كَانَتِ الثَّانِيَةُ أقلَّ مَرْتَبَةً مِنَ الأُوْلَىٰ مِنْ حَيْثُ الفَهْمِ والحَرَكَةِ ، وَأَمَّا السَّمَكَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَكَانَتْ مُتَرَدِّدَةً ، وبَطِيئَةَ التَّفْكِيْرِ ، ولا تَحْسِمُ أَمْرَهَا أَبَداً.

وَذَاتَ يَوْمٍ كُنَّ يَسْبَحْنَ في مَرَحٍ وَخِفَّةٍ ونَشَاطٍ ، وَإِذَا بِهِنَّ يَسْمَعْنَ اثْنَيْنِ مِنَ الصَّيَادِيْنَ عَلَىٰ الشَّاطىءِ يَتَحَدَّثَانِ عَنْ سُهُوْلَةِ الصَّيْدِ في هَذَا النَّهْرِ؛ حَيْثُ قَالَ الصَّيَّادُ الأَوَّلُ لِلثَّانِي:

ألا تَرَىٰ: أَنَّهُ مِنَ اليَسِيْرِ عَلَيْنَا أَنْ

نَحْصُلَ على حَاجَتِنَا مِنَ السَّمَكِ في هَذَا الجَدْوَلِ دُوْنَ عَنَاءٍ أَوْ مَشَقَّةٍ؟ فالصَّيْدُ فِيْهِ لا يُكلِّفُ جَهْداً ، ولا يتطَلَّبُ القِيَامَ بِعَمَلٍ مُضْنٍ. أَلَيْسَ مِنَ المُلائِمِ أَنْ نَبْدأَ الصَّيْدَ غَداً في هَذَا الجَدْوَلِ ، ونَرْفَعَ عَنْ كَوَاهِلِنَا عِبْءَ البَحْثِ في الأَنْهَارِ المُتلاطِمَةِ الأَمْوَاجِ؟!

قَالَ الثَّانِيْ:

لَارَيْبَ: أَنَّ هَذِهِ الجَدَاوِلَ فُرْصَةٌ سَانِحَةٌ لِلصَّيْدِ المُرِيْح ، فَلَيْسَ فِيْهِ صُخُوْرٌ تَعْتَرِضِ شِبَاكَنَا ، ولا أَشْواكٌ

تُدْمي أقدَامَنَا ، ولا سُفُنٌ تُثيْرُ المَوْجَ ، فَيَفرُّ السَّمَكُ مَذْعُوْرَاً ، وَيُخَيَّلُ إليَّ: أنَّهُ هِبَةٌ مِنَ اللهِ لِلْمُتْعَبِيْنَ أَمْثَالِنَا؛ حتَّىٰ تُخَفِّفَ عَنْهم بَعْض مَاْ يُكابِدُون مِنْ تَعَبٍ ، وَإرْهَاقٍ!!

فَمَاذَا فَعَلتِ السَّمَكَاتُ الثَّلاثُ بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَ حِوَارَ الصَّيَّادِيْنَ؟!

سَمَكَتَانِ ذَكيَّتَانِ!!

وَحِيْنَ سَمِعَتِ السَّمَكَاتُ الثَّلاثُ حِوَارَ الصَّيَادِيْنَ ، بَادَرَتْ أَذْكَاهُنَّ بِالهَرَبِ إلىٰ النَّهْرِ خِلال فَجٍّ عَمِيْقٍ

يَصِلُ بَيْنَهُما ، وَلَبِثَتِ الثَّانِيةُ مَكَانَهَا رَيْثَمَا يَطْلُعُ الفَجْرُ ثُمَّ تنصَرفُ بَعِيْداً ، أَمَّا المُتَرَدِّدَةُ فَلَمْ تَأْخُذْ حِذْرَهَا ، وَكَأَنَّ الأَمْرَ لا يَعْنِيْها في شيءٍ!

وَفي الصَّبَـاحِ ، انْطَلَق كُلُّ وَاحِدٍ إِلىٰ عَمَلِهِ طَلَباً لِلرِّزْقِ ، بَيْنَمَا كَانَ الصَّيَـادانِ يَتَّجِهـانِ إِلـىٰ الجَـدْوْلِ ، وَعِنْدَمَا وَصَلا إِلَيْهِ ، أَلْقَيَا بِشِبَاكِهِمَا فِيْـهِ ، فَكَـانَـتِ السَّمَكَـةُ الثَّـانِيَـةُ أَوَّلَ ضَحِيَّةٍ في الشِّبَاكِ... وَحِيْنَ وَجَدَتْ نَفْسَها مَحُوْطَـةً بِالحَبَـائِلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ اسْتَـوْلَى عَلَيْهَـا الفَـزَعُ فَقَالَتْ

فِي نَفْسِهَا: لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً! لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ الحَذَرَ والحِيْطَةَ؛ لِكَيْ لا أَقَعَ فِي الشِّبَاكِ! وَلَكِنْ مَاذَا يُفِيْدُنِي النَّدَمُ الآن؟! إِذاً: لابُدَّ مِنَ اتِّخَاذِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ كَيْ أَنْجُو مِمَّا أَنَا فِيْهِ! وَمَا هِيَ إلا دَقَائِقُ حَتَّىٰ أَخْرَجَ الصَّيَادَانِ السَّمَكَةَ مِنَ الشِّبَاكِ ، وَوَضَعَاهَا عَلىٰ حَافَّةِ الجَدْوَلِ ، فَكَتَمَتِ السَّمَكَةُ أَنْفَاسَهَا ، وَتَظَاهَرَتْ بِالمَوْتِ! فَتَرَكَاهَا وَنَزَلا إِلىٰ الجَدْوَلِ لِيُمَارِسَا فِيْهِ الصَّيْدَ مِنْ جَدِيْدٍ.

وَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ إِلىٰ أَنَّهُما أَصْبَحَا بَعِيْدَيْنِ عَنْهَا؛ قَفَزَتْ فِي النَّهْرِ ، وتَوارَتْ بَيْنَ الصُّخُورِ والمَرْجَانِ!!

وَأَمَّا السَّمَكَةُ المُتَرَدِّدَةُ..

وَبَعْدَ قَلِيْلٍ لَمَحَ الصَّيَّادَانِ السَّمَكَةَ الثَّالِثَة ، ورَاقَبَا حَرَكَتها؛ حَيْثُ كَانَتْ ـ كَعَادَتِهَا ـ حَائِرَةً مُتَرَدِّدَةً ، تَارَةً تَعُوْمُ بِجِوَارِ حَافَّةِ الجَدْوَلِ ، وَتَارَةً تَغُوْصُ تَحْتَ المَاءِ ، وَتارَةً تَقِفُ. ، وَهَكذا دُوْنَ اتِّخَاذِ قَرَارٍ حَاسِمٍ ، فَأَسْرَعَ نَحْوَهَا الصَّيَّادَانِ ، وأَلْقَيَا عَلَيْهَا

الشِّبَـاكَ؛ وَهِـيَ فـي ذُهُـوْلٍ مِنْ أَمْرِهَا؛
لا تَدْرِيْ مَاذَا تَصْنَعُ ؟!

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِيْنَ!

* * *

obeikandl.com